نقيشة المُحرّر صابينوس وأهميّتها في تاريخ مدينة عنابة (هيبو ريجيوس) خلال القرن الثّالث الميلادي

The Latin Inscription Of The Libertus Sabinus And Its Importance In study Ancient Annaba (Hippo Regius) During The Third Century.A.D

اسم ولقب المؤلّف المرسل للمقال: وابل امحمد – Ouabel Mhammed صص9- 23
الدرجة والعنوان المهني: طالب دكتوراه علوم- قسم التاريخ وعلم الآثار- كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1 (الجزائر) /البريد الإلكتروني: ouabel.mohamed@yahoo.com
اسم ولقب المؤلف الثاني: أة. أم الخير العقون - Oumelkheir Laggoun
الدرجة والعنوان المهني: أستاذة- قسم التاريخ وعلم الآثار- كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1 (الجزائر) /البريد الإلكتروني: Laggoun.oumelkheir@univ-oran1.dz

تاريخ استقبال المقال: 2020/06/24 تاريخ المراجعة: 2020/07/05 تاريخ القبول: 2020/08/12

الملخص باللّغة العربيّة: يتطرّق هذا المقال إلى محاولةٍ تقديم قراءةٍ لنقيشة لاتينية وُجِدت في مدينة هيبو ريجيوس من خلال التنقيبات في المدينة مع بداية القرن العشرين، هذه النقيشة التي يعود تاريخ كتابتها إلى بداية القرن الثالث الميلادي بينت لنا من خلال ملاحظة كلماتها المنقوشة، وإضافة الأحرف الناقصة، أنها تدلّ على إشارات ومعلومات تاريخية في غاية الأهمية، انطلاقا من المعتقد الديني الوثني، إلى كلمات مرتبطة بالمسائل الاقتصادية، كما نجد في النقيشة أيضا اسم الموظف المُحرر صابينوس الذي رُفع هذا الإهداء على شرفه، كما كشفت النقيشة وظيفة المُحرر صابينوس في الإدارة الرومانية الزراعية، وأهم المهن التي تقلدها في حياته العملية في مدينة هيبو ريجيوس، كما بينت النقيشة كذلك دور فئة العبيد المحررين (المعتقين) في هذه المدينة، ودوافع وأهم المعطيات لإنشاء مخازن القمح (horrea) في المدينة، ودورها في استمرارية تموين سكانها وسكان روما بالمواد الغذائية الأساسية، كما حاولت الكشف عن التعداد السكاني لمدينة هيبو ريجيوس خلال الفترة الرومانية، وكمية الاستهلاك اليومي والسنوي لسكان المدينة، بخاصة المواد الزراعية من القمح والزيت والخمر، وبينت دور جهاز الأنونة (Anonae)، وأهم المسيرين لهذه المصلحة، ودورها في ضمان تعبئة المخازن في المدينة، وكيفية الحصول على المنتجات الزراعية في ريف المدينة، وبينت في الأخير أهم النتائج المُحصّل عليها من خلال نقيشة المُحرر صابينوس.

الكلمات المفتاحية: هيبو ريجيوس؛ مخازن القمح؛ صابينوس؛ مصلحة الأنونة؛ المعتقون.

ABSTRACT: This article attempt to present a historical study of a Latin inscription found in the city of Hippo Regius which dates back to the beginning of the 3rd century AD. In observing its words, it had pointed out that they are indicative of very important references and information, from pagan religious belief, to the mention of words and phrases related to economic issues, as well as in the inscription the name of the liberator «Sabinus», who toke this honor gift, as well as we can understand many things throught this inscription like Roman Agricultural Administration and the most important professions he has held in his working life in the city of Hippo Regius, and the establishment of wheat stores (horrea)and its role in the continuity of supply of the city's inhabitants and the inhabitants of Rome with basic foodstuffs, as well as tried to reveal the census of the city of Hippo Regius during the Roman period and And the amount of daily and annual consumption of the city's population, especially agricultural materials from (wheat, oil, wine, as well as the role of the anonae) and the most important facilitators of this interest and its role in ensuring the mobilization of stores in the city of Hippo Regius and how to get agricultural products in The countryside of Hippo Regius, and in the end showed the most important results obtained by reading the inscription of the «Liberator Sabinus».

Keywords: Hippo Regius; Horrea; Libertus Sabinus; Annonae; Libre slaves.

المقدمة: تعتبر النقائش اللاتينية من أهم المصادر المادية التي تبين تاريخ مجتمعات الفترة الرومانية، وعلى الرغم من محدودية المصطلحات والعبارات الواردة فيها ؛إلا أنها تكشف معلومات في غاية الأهمية عن تاريخ المدن ومهام الشخصيات وأصولها، إضافة إلى المعتقدات الدينية، وفي سياق قراءة النقائش وكشف محتوياتها تجدر الإشارة إلى وجود كلمات لاتينية مختصرة تشير للمعتقد الديني وأسماء الأفراد ووظائفهم، وبناء على ما تمّ ذكره آنفا يمكن طرح الإشكالية الرئيسية: ما هي الأهميّة التاريخية لنقيشة المحرّر "صابينوس"؟ وتمخضت عنها جملة من التّساؤلات الفرعية هي كالآتي: ما هي عقيدته الدينية؟ وما هي وظيفة المحرر صابينوس، وإلى أي فئة ينتمي؟ ما نوعية المنشآت الاقتصادية الواردة في النقيشة التي أشرف عليها؟ ما أسباب وجود هذه المنشآت؟ وما مدى أهميتها في اقتصاد مدينة هيبو ريجيوس وروما؟ وما أهمية النقيشة للمجتمع في هذه المدينة؟

1- وصف النقيشة: تم العثور على نقيشة مهمة في مدينة هيبو ريجيوس (الشكل رقم:01.) لأحد العاملين في الحراسة والتسيير الزراعي ينتمي إلى فئة المعتقين (المحررين)، والنقيشة المُكتشفة عبارة عن مذبح (Autel) صُنع من مادة المرمر، عُثِرَ عليها سنة 1922م بمدينة هيبو ريجيوس، مكعبة الشّكل يصل ارتفاعها إلى 85 سم وعرضها إلى 48 سم وسمكها 40 سم،

أمّا أحرفها فمتفاوتة الارتفاع يقارب أغلبها 10سم، متكوّنة من ثمانية أسطر أفقية، وهي نقيشة لاتينية تمّ تسجيلها في دورية النقوش الصادرة في سنة 1924م، كما أعيد نشرها في ذات السنة من قبل أوجان ألبرتيني في لجنة الأعمال التاريخية والعلمية 1924م، وبيّنت المراجع كتابتها كالآتي:

Genio et / Numini / Horreorum / ,Sabinus / Augg(ustorum) lib(ertus) / c(ontra) s(criptor) h(orreorum) Hipp(oniensis) R(egiorum)/, item cura(tor) /Cancellorum.[1].

Au Génie et au Numen des greniers. Sabinus affranchi des deux empereurs, contrôleur des greniers d'Hippo Regius, et de même curateur des barrières.

إلى الجنيوس (المعبود) والنومين (الروح) المشرفة على المخازن. صابينوس معتق الإمبراطورين، مُراقب مخازن هيبو ريجيوس، وأيضا كيراتور (المشرف) الأسيجة.

1. 1- المعتقد الوثني: تعتبر العقيدة الوثنية ملازمة للإنسان منذ أقدم العصور؛ وقد حافظت على مكانتها خلال الفترة الرومانية، واستمرت حتى بداية القرن الخامس الميلادي على الرغم من انتشار الديانة المسيحية في المدينة، وبينت العديد من النصب والإهداءات الجنائزية في مدينة هيبو ريجيوس الكثير من المعبودات[2]، وظهر المعتقد الديني في نقيشة المحرر صابينوس في السطر الأول أعلى النقيشة؛ حيث نُقش اسم المعبود جينيو (Genio) أو جينيوس (Genius)،[3] ومن خلال ما ورد في هذه الأخيرة يمكن أن نطرح التّساؤل الآتي: من هو جينيو؟ وما مكانته في مجتمع هيبو ريجيوس؟ ولماذا يظهر بكثرة في النقائش اللاتينية؟

يعتبر جينيو من أهم المعبودات الرومانية المرتبطة بقداسة المكان والمدن، ويعد من الأرواح الخفية التي تحرس الأماكن، ولم يتم تصويره على النقائش، كما قدمت له القرابين وهو من المعبودات التي يعتقد أنها تخرج للطبيعة ليلا، كما اعتقد أفراد المجتمع أن جينيو حامٍ للمدينة ومراكزها الحضرية والحيوية. وما نستنتجه هنا أن الإنسان الذي قام بكتابة الإهداء على النقيشة إنّما يريد السّكينة والأمن لمنشآته الاقتصادية والراحة والخلود للمحرّر صابينوس، ولذلك نرى أنّ جينيو في النقيشة يدل على مكانة مخزن القمح في مجتمع مدينة هيبو ريجيوس.

وتفيدنا النصوص والنقائش المكتشفة في مدن أخرى أن هذه العبادة منتشرة إلى حد كبير مقارنة مع معبودات أخرى، وظهرت أكثر في النقائش الإهدائية الخاصة برجال الدين والنُخب المحلية والطبقة الأرستقراطية، وانتشرت مع نهاية القرن الثاني للميلاد بين العبيد

والمحررين[4]، لذلك فوجود كلمة جينيو في النقيشة يدل على مكانة مخزن القمح في مجتمع مدينة هيبو ريجيوس.

1. 2- الأوريا: بعد الانتهاء من قراءة المعبود وجدت عبارتان متشابهتان تقريبا، أولاهما في السطر الثالث أوريوم (horreum). أما السطر السادس فظهر فيه حرف على شكل (H)، وبعد تكملة هذا الحرف أصبحت لدينا كلمة (horreum)[5]، إذًا ماذا تعني كلمة (horreum)؟ يقصد بهذه العبارة مخازن للقمح أو المنتجات الزراعية[6]؛ إذ تعتبر المخازن من أهمّ المنشآت الاقتصادية التّي كانت لها أهمية بالغة في الاقتصاد الروماني، واستعملت لتخزين مادة القمح في روما أو المدن الواقعة تحت سيطرتها، سُميت في المصادر والنّقائش اللاتينية باسم أوريا (Horrea)، يعود إنشاؤها إلى منتصف القرن الثّاني قبل الميلاد[7]. أمّا في المقاطعات الإفريقية فقد كانت متأخرة نوعا ما، وظهرت مع التّوسع العمراني في بداية القرن الثاني الميلادي، وتوزعت جغرافيًّا على نحو متباين، وتركزت أكثر في مقاطعة إفريقيا البروقنصلية (10مخازن) ومقاطعة نوميديا (8 مخازن) ومقاطعتي موريطانيا القيصرية والطنجية (10 مخازن)[8].

تمّ إنشاء هذه المخازن في مدينة هيبو ريجيوس نظراً لمكانتها الاقتصادية خلال الفترة الرومانية، باعتبارها من أهم المقرات لتسيير الأراضي الزراعية في الإمبراطورية[9]، وهناك سبب آخر لإنشاء هذه المخازن، وهو كثافة الإنتاج الزراعي في ريف المدينة، وكثرة الملاك الزراعيين بصفتهم الممولين الرئيسيين لهذه المخازن.

لم تكن هذه النقيشة الوحيدة التي وجدت بمدينة هيبو ريجيوس التّي بينت مكانة مخازن القمح؛ بل وجدت نقيشة أخرى مصنوعة من حجر المرمر يبلغ ارتفاعها 30 سم وعرضها 17 سم أما سمكها فـ35 سم، احتوت على كلمتين غير مكتملتين (...RIB....) و(.ORR)، وبعد إضافة الأحرف المناسبة تبيّن أنّها أوريا تريبنوس (Horrea Tribnus) [10]، وهي تدلّ على مُسَيِّر من فئة النخبة تريبنوس (Tribnus) مشرف على مخازن القمح في مدينة هيبو ريجيوس، وهذه الكتابة دليل إضافي لتأكيد نقيشة المحرّر صابينوس، دون أن نغفل أنّ المخازن في مدينة هيبو ريجيوس لم تكن مخصصة للقمح فقط؛ بل كانت لمنتجات زراعية عديدة: القمح وزيت الزيتون والخمور وحتى البقوليات الجافة[11].

ومن خلال ما جاء في نقيشة المُحرر صابينوس، والنقيشة الأخرى المكتشفة بالمدينة نستنتج أنّ مدينة هيبو ريجيوس كان لها أهميّة اقتصادية على غرار الكثير من مدن المقاطعات الإفريقية الرومانية، وتأخذ قيمتها الاقتصادية من خلال تعدّد النقائش التي

ذكرت أوريوم (horreum) وأوريا (Horrea)، وبيّن مصدر آخر منشآت اقتصادية يُعتقد أنّها مخزن للقمح تمثّل في فسيفساء عُثر عليها في منازل الواجهة البحرية، وبعد الملاحظة والاستقراء للوحة الفسيفسائية أُستنتج من خلال المنشآت المعمارية الظاهرة في اللوحة أنّ أحدها يظهر مخزنا للقمح الواقع في الجهة اليمنى من الجسر (الشكل رقم 02)[12]، وما يوضح ذلك أكثر تلك الطوابق وسمك جدران المنشأة، وهذا المؤشر أُكتشف من خلال التنقيبات الأثرية؛ فالجدران القوية والسميكة والأساسات العريضة تدل على بناية بطوابق، وتتكون المنشأة الاقتصادية من طوابق لتخزين أكبر كمية من المواد الزراعية.

لقد بينت المصادر الأثرية من نقائش وفسيفساء وجود المخازن في مدينة هيبو ريجيوس خلال القرن الثاني والثالث الميلاديين، ونظرا لأهميتها الاقتصادية الحساسة أُسندت وحدات النخبة في الجيش الإمبراطوري المتمثلة في الكتائب البريتورية (الحرس الإمبراطوري) والكتائب الحضرية لحمايتها وحراستها، وهذا ما تمّت ملاحظته في ميناء ومخازن أوستيا[13]، أما في مدن المقاطعات الرومانية المهمة فقد وجدت الكتائب الحضرية مثل الكتيبة الثالثة عشر الحضرية في قرطاجة[14]، والكتيبة الرابعة عشر الحضرية في مدينة هيبو ريجيوس لحراسة المنشآت الاقتصادية[15]، كما أنّ هناك علاقة لا يمكن فصلها بين مخازن القمح وميناء المدينة من أجل تصدير الشحنات من المنتجات الزراعية إلى روما[16].

من خلال النظر في نقيشة المحرر صابينوس، والنقائش الأخرى تبيّن أنّ مخازن القمح في مدينة هيبو ريجيوس لم تكن مجرد مخازن استراتيجية، وإنما لها علاقة بالمزارع وميناء المدينة ومخازن القمح في ميناء أوستيا بروما إضافة إلى جهاز الأنونة.

1. 2- صابينوس: تعتبر الأسماء من أهم العناصر التي ترد مباشرة بعد اسم الآلهة أو المعبود؛ وهذا ما جاء في النقيشة؛ حيث كتب اسم المُعتق صابينوس (Sabinus) في السطر الرابع من النقيشة[17]، ويعتبر اسم صابينوس من الأسماء غير المحلية[18]، هذا الشخص يحمل اسما مشتقا من اسم الشعب الذي سكن وسط إيطاليا، وأقام بها حضارة قبل الغزو الروماني لهم وهم الصابينيون، وتعبر الأسماء الفردية في النقائش التي تؤرخ من القرن الأول إلى القرن الثالث الميلادي من فئة العبيد، وبالتالي قد يُستنتج من الوهلة الأولى أنّ صابينوس من فئة العبيد المحرّرين؛ حيث أن معظم النقائش اللاتينية التي أشارت إلى فئة العبيد كانت الأسماء الفردية في أغلبها تشير إما للعبيد أو الأحرار الذين كانوا عبيدا فيما سبق.

يُعَدُّ المُعتق صابينوس من صنف العبيد لكن أضيفت بعد اسمه عبارتان تبينان رتبته الاجتماعية، من خلال هاتين العبارتين الموجودتين في السطر الخامس من النقيشة، وكانتا مترابطتين أولاهما (Augg) وثانيتهما (Lib)[19]، وهما اختصارا ليبارتوس أوغستروم (Libertus Augustorum)[20]. إذن ما دلالة هاتين العبارتين؟

تعني عبارة ليبارتوس أوغستروم (libertus Augustorum) مُعْتَق أو مُحرَّر أغسطي، وظهرت فكرة تحرير العبيد من العبودية ووضعهم في مصاف المحررين أو المعتقين في بداية القرن الأول الميلادي، ويمكن للعبد الذي يتم تحريره حمل الاسم الثلاثي: الاسم (nomen) واللقب (praenomen) والكنية (cognomen)، وتعطى له المواطنة الرومانية، وتتمّ عملية ترقية الأفراد من فئة العبيد إلى فئة المحرّرين من قِبَلِ سيد العبد أو رئيسه، وبموجب ذلك يضفي اسمه على العبد المحرّر، كما سَنَّ المشرع الروماني إضافة عبارة ليبارتوس (Libertus) للعبد المحرّر.

لكن على الرغم من تحريره وإمكانية حمله للاسم الثلاثي الذّي يمنحه حق اكتساب المواطنة الرومانية، إلّا أنّ الكتابات الأدبية قد بينت لنا أن المعتقين عانوا في المجتمع من التّمييز بسبب ماضيهم العبودي كما أنه لا يتساوى مع المواطن الحر، ولا يطمح أن يكون ضمن فئة الفرسان أو الكهنوت أو حتى طبقة الأشراف أو الأرستقراطية (Nobilitas/Honestiores)، لكن مع كلّ هذه المعوقات في حياته تمّ إعفاؤه من تقديم مال العبودية والأراضي، كما خوّل له القانون الروماني الاشتراك في بعض المهن المحلية والزواج وإنجاب أولاد أحرار.

أمّا كلمة أوغوستروم (Augustorum) التّي وردت قبل كلمة ليبارتوس (Libertus)؛ فهي تدل على صفة المحرر من أتباع الإمبراطور؛ الذي أمر شخصيا بتحريرهم، عكس العبيد الذين يتم تحريرهم من قِبَلِ القناصلة أو الأسياد، وبالتالي يُستنتج أنّ المحرّر صابينوس من العبيد الذّين حرّرهم الإمبراطور شخصيا.

3.1- الوظيفة: تعتبر الوظائف في الفترة الرومانية جزءا مهما في حياة الأفراد، وكانت النقائش اللاتينية المصدر الوحيد تقريبا الذي بَيَّن الرتب والوظائف المهنية، وهناك شروط لتولي المناصب والمسؤوليات في الإدارة الرومانية؛ حيث إنّ المواطنين الرومان المولودين أحرارا لا حقّ لهم في المناصب البلدية ولا يكون لهم مسار مهني، إذا لم يكونوا من العائلات الرومانية النّبيلة، ومن خلال ما ورد يمكن أن نستقرئ نص الإهداء لمعرفة الوظائف التّي تقلّدها صاحب النقيشة، وهل المحرّر صابينوس تقلّدها فعليا أم تقلّد وظيفة أقل منها؟

ذُكرت الوظائف في نقيشة المحرر صابينوس في أكثر من سطر، أول وظيفة وردت في السطر السادس، وتشكلت من حرفين (..S..C) منفصلين[21]، وبعد إكمال الحرفين تبيّن أنها تدل على وظيفة كوستوس ساكروم (Custos Sacrorum)، أو وظيفة (Contrascriptor) [2]، أما السطر السابع فذكرت فيه عبارة (I.Tem Cvra)[23]، وهي تدل على وظيفة[24] كيراتور (Curator)؛ فماذا تعني كلّ وظيفة من هذه الوظائف المذكورة؟

تعني كلمة الكوستوس (Custos) الحارس، وتتعدّد مهامها حسب الحاجة؛ فمثلا نجد حارس المعبد أو السوق أو غيرها من المرافق، أما في النقيشة فتبين أنّ المُحرر صابينوس أسندت إليه مهمة الإشراف العام على الفئة العاملة والمتابعة اليومية والمحاسبة المالية للمدخولات الزراعية، كما يسهر كذلك على ضمان الإنتاج الزراعي (التموين)[25]، وبالتالي يعتبر "الكوستوس" أمين مخزن[26] تسند له كذلك مهمة توفير الأمن وحماية المنشآت العامل على مستواها، لكن على الرغم من المكانة الإدارية لحاملها؛ إلّا أنّه يبقى من صنف العبيد ومرشحا ليكون مُعْتَقا أو محرّرا مستقبلا[27]، ووجدت كذلك هذه الرتبة في وحدات الجيش الروماني بـ"كوستوس أرموروم (Custos Armorum) مهمته حراسة مخازن السلاح[28]، ومن خلال ما ذكر فإنّ صابينوس هو حارس المخازن أو المستودعات لحفظ الغلال، ويستنتج أن وطيفة الكوستوس تعدت النظام الإداري المدني، وأصبحت كذلك في النظام العسكري.

هذه الرتبة ظهرت في الكثير من النقائش اللاتينة المكتشفة بالمدن في المقاطعات الرومانية؛ من بينها نقيشة عُثِر عليها بمدينة أوتيكا ومخازن ماكسولا (maxula) برادس بمقاطعة إفريقيا البروقنصلية[29]، وكانت وظيفة حارس المخزن خطيرة في العهد الروماني لا يضطلع بها إلا ذوي ثقة الأباطرة، وهم عبيدهم أو مُعْتَقُوهم أو وكلاء من طبقة الفرسان.

أما وظيفة أو رتبة (Contrascriptor) فتُعَدُّ كذلك من أهم الوظائف الإدارية التي يحملها عبيد الإمبراطور الذين تم تحريرهم؛ فهم مكلفون بالتسيير والمراقبة، وهم من الأفراد الموثوقين[30]، وقد وجدت نقائش تحمل هذه الرتبة (Contrascriptor) في مخازن مدينة جميلة خلال القرن الثاني الميلادي[31]، أما الكيراتور (Curator)؛ فهو من المناصب المهمة في الإمبراطورية الرومانية؛ ينحدر من الطبقة السيناتورية بالمدن الرومانية، ويُنتخب متوليها من بين أعضاء النخبة البلدية بالاتفاق وبموافقة المجلس البلدي، من مهامه مساعدة مسؤولي البلديات أو المستوطنات كما يسهر على حل مشاكلها، يتولى كذلك التسيير الإداري للمدينة، كما تسند له أحيانا مهمة المالية والقضاء[32]، وهو أيضا من صف الفرسان الذين

يديرون مكاتب محلية بالمدينة[33]، بعضهم يعينهم الإمبراطور في المدن التّي تمت ترقيتها (Curator Rei Public)[34].

يعمل "الكيراتور" داخل البلديات الرومانية على مراقبة المال والإشراف على الخزينة العامة، وله خبرة في التسيير لأنّه من الذين سبق لهم تولي رتبة "الدومفير"، وهو أحد القاضيين البلديين، وتعتبر هذه الوظيفة (قاضي بلدي) من أهم الوظائف المحلية داخل البلدات والمستعمرات الرومانية، ويشرف حامل هذه الرتبة على السلطة القضائية أو القضاء البلدي في القانون الروماني سنة واحدة في مدينته، أحيانا نجد عبارة خماسي (Quiquennalis)، ويعني أن سنة توليه القضاء البلدي تصادفت مع السنة الخامسة التّي وقع فيها الإحصاء الذّي يجرى كلّ خمس سنوات، يشرف الكيراتور على مجموعة من الإداريين من الخزينة ومسيري الشؤون المالية والضرائب[35]، ونخلص إلى أنّه على الرغم من محدودية الكلمات في نقيشة المعتق أو المحرر صابينوس؛ إلّا أنّها بيّنت العديد من الوظائف في غاية الأهمية بنسبة لاقتصاد المدينة وشؤونها المالية، كما تكشف النقيشة أنّ العبيد والمحرّرين (المعتقين)- مهما علا شأنهم- ليس لديهم مسارا مهنيا.

1. 5- هيبو ريجيوس: وردت في النقيشة عبارة (HIPPO R)[36] في إشارة لمدينة هيبو ريجيوس، وتعتبر هذه المدينة من أهم المدن في مملكة نوميديا قبل الاحتلال الروماني باعتبارها من المدن الملكية (ريجيوس بمعنى ملكية)[37]، أصبحت هذه المدينة سنة 46 ق.م جزءا من مقاطعة إفريقيا الجديدة[38]، ارتقت إلى بلدية رومانية في فترة الإمبراطور أكتافيوس أغسطس(27ق.م- 14م) (Hipponiensis Regiorum)[39]، وحافظت على الاسم نفسه في فترة الإمبراطور كلاوديوس (41م- 54م)، ولم يكن هناك تغيير في اسمها، وذكرت بـ(Hipponesium Regiorum)،[40]، في عهد الإمبراطور تراجانوس (98م- 117م) ترقت إلى مستوطنة (colonia) مع الحفاظ على التسمية(Hipponesium Regiorum) ، في فترة الإمبراطور سيبتيموس سيفيروس (193م-211م) أصبحت مدينة هيبو ريجيوس مستوطنة أغسطية[41]، وبقيت حاملة لنفس الاسم "هيبو ريجيوس" من القرن الأول حتى القرن الرابع[42]، انتهت السيطرة الرومانية على المدينة سنة 431م، وخضعت للاحتلال الوندالي، ولم يتغيّر اسمها خلال الفترة الوندالية[43].

2- أهميّة إنشاء مخازن القمح: نتساءل عن سبب وجود مخازن كثيرة للقمح بمدينة هيبو ريجيوس؛ فهل كانت من أجل تزويد سكان مدينة هيبو ريجيوس بالقمح فقط؟ أم أن الهدف منها تزويد روما؟ أي أنّ العملية تتمثل في جمع المنتوجات الزراعية من ريف المدينة،

وتخزينها في مخازن هيبو ريجيوس قبل تصديره إلى روما؟ وللإجابة عن هذه الأسئلة يتطلب منا الأمر الإحاطة ببعض المعطيات منها:

2. 1- التّعداد السّكاني: أوّلا بالنسبة لتزويد روما أو تزويد مدينة هيبو ريجيوس فلا يمكن الفصل بينهما؛ فكلاهما ضمن الأملاك الإمبراطورية رغم أنّ الأفضلية والأولوية في رأي المستعمر بطبيعة الحال لمدينة روما؛ حيث نصّت القوانين الرومانية على أحقية الشّعب الروماني في القمح من المقاطعات التّابعة للسّلطة الرومانية، ومنه نتساءل: كم كان عدد سكان مدينة هيبو ريجيوس خلال القرن الثّاني والثّالث وحتى الرابع الميلادي؟ وما حصة المواطن من المواد الأساسية: القمح الزيت والخمر؟

بلغ سكان العاصمة الرومانية ما بين القرنين الثاني والثالث الميلاديين حوالي ثمانية ملايين نسمة[44]، أمّا بقية المدن في المقاطعات الرومانية الإفريقية فقد يصل إلى ستين ألف نسمة في كبرى العواصم كقرطاجة، ومدينة شرشال كثاني عاصمة قُدِّر عدد سكانها بأربعين ألف نسمة[45]، أمّا المدن الأقلّ أهميّة على سبيل المثال لا الحصر: نجد مدينة تبسة حوالي سبعة آلاف نسمة، ومدينة توبوريسكو (Thubursicu) (خميسة الحالية) عشرة آلاف نسمة[46]، ومنه نتساءل ما هو التعداد السكاني لمدينة هيبو ريجيوس خلال القرن الثالث الميلادي أو الفترة الرومانية؟

لا يمكن الجزم وإعطاء إحصاء دقيق حول سكان مدينة هيبو ريجيوس؛ غير أنّه يمكن أن نضع بعض المقاربات، والتّي ربّما توصلنا إلى العدد التقريبي للسكان من خلال النظر إلى المنشآت المعمارية بالمدينة ومقارنتها مع نفس المنشآت في مدن أخرى؛ فالمسرح في مدينة هيبوريجيوس يتسع لـ5000 متفرج، ويعتبر الأكبر في مدن المقاطعة[47]، كما توجد بها الحمامات وأكبرها الحمام الشّمالي ومساحته 4500م^2، ومساحة الفوروم 4374م^2، وهو الأكبر في مدن المقاطعات الرومانية بإفريقيا[48]، كذلك وجدت في مدينة هيبو ريجيوس منشآت دينية كثيرة مقارنة مع مدن المقاطعة ومنها بازيليكا كبيرة وكنائس وأديرة ومصليات، وهي بنفس العدد مع المنشآت الدينية لمدينة قرطاجة[49]، ووجدت منشآت أخرى جاذبة للعنصر البشري مثل الميناء والسوق، وهناك سبب آخر يعطي التفوق السكاني لمدينة هيبو ريجيوس، وهي الترقية الإدارية باعتبارها مركز المقاطعة الهيبونية[50] ، وكذلك مقر المقاطعة الكنسية خلال القرن الرابع الميلادي، من خلال هذه المنشآت المعمارية يمكن اعتبار مدينة هيبوريجيوس قريبة جدّا في التّعداد السّكاني من مدينة قرطاجة ومدينة شرشال.

كذلك هناك مؤشر آخر ربما يقرّبنا أكثر من معرفة التعداد السكاني، وهي المصادر التّي تحدثت عن المعارك التّي خاضتها القوات الرومانية على أطراف مدينة هيبو ريجيوس في ربيع سنة 430م؛ فقد كان عدد القوات المشاركة في المعركة في حدود 7000 عسكري، أما الجيش الوندالي فبلغ تعداده 20000 عسكري[51]، من هنا نتساءل ما نسبة الجيش بالنسبة لسكان المدينة؟ إذا كان جيش المدينة نسبته ربع السكان فنحن أمام 30000 نسمة، أمّا إذا كان الثلث فنحن أمام 20000 نسمة.

الاحتمالات التّي تجعلنا نستنتج أنّ العدد أكبر من ذلك، لأنّ الجيش كان مدعما بعناصر مدنية من المدينة بعد تدخل الأسقف أوغسطين لتعبئة الجيش والمجتمع، إذن يمكن أن يكون المدافعون عن المدينة في حدود 30% من المجمتع الكلي، وبالتّالي فإنّ التعداد السكاني قد يكون في حدود 25000 نسمة، كذلك ما يقربنا من الرقم 25000 أو 20000 وكحد أقصى 30000 أن الجيش الوندالي المقدر بـ 20000 عسكري دخل المدينة واستقر بها سنة 431م[52] . وبالتّالي فإنّ استيعاب المدينة كان أكثر من الجيش الوندالي، باعتبار الوندال قد حافظوا على نسبة من السّكان؛ لكن في الأخير نسبة السّكان تبقى قابلة للتّغيير؛ لأنّ المنشآت المعتمدة في البحث قد لا تعكس إلى حدّ ما التّعداد السّكاني فهي مرتبطة أحيانا بالازدهار الاقتصادي للمدينة.

2. 2- الاستهلاك اليومي: من خلال المعطيات الأثرية والمقاربات مع مدن أخرى، والإشارات لعدد السّكان عشية الدّخول الوندالي تبيّن أنّ العدد يكون ما بين 20000 و30000 نسمة، أمّا العبيد الذّين قدرت نسبتهم بـ20%[53]؛ فسنحصل على ما بين 4000 و7000 عبد، إنّ هذا التّعداد السّكاني يحتاج إلى حصص تموينية لضمان الاستقرار المجتمعي؛ إذ قدر استهلاك المواطن الروماني بـ1 كلغ من القمح والعبد بـ0.5 كلغ يوميا و0.06 لترا من الزيت[54] و1 لتر من الخمر[55]، إذن كم يستهلك سكان هيبو يوميا وسنويا؟

إذا قدرنا الحدّ الأدنى للسّكان بـ20000 نسمة فإنّهم يستهلكون 20000 كلغ من القمح و1200 لتر من الزيت و20000 لتر من الخمر، إنّ هذه الكميات من حاجيات السّكان لا يمكن تخزينها إلّا في المخازن، وبما أنّ هناك مادة سائلة فهي تحتاج إلى أمفورات للتّخزين والحفظ؛ وقد بيّنت المصادر أنّ الأمفورة سعتها تقدر بحوالي 26.26 لتر[56]، وبالتّالي نحتاج يوميا فقط إلى 45 أمفورة لتخزين مادة الزيت و375 أمفورة لتخزين الخمر، أما سنويا فالمجتمع يحتاج من القمح (20000*365)= 7300000كلغ (73000قنطار)، والزيت (1200*365)= 438000ل، والخمر (20000*365)= 730000 ل سنويا.

ما نلاحظه أنّ هذه الكميات كبيرة جدّا، ويعتقد أنّها أكثر نظرا للاستعمال الواسع لهذه المواد الاستراتيجية، كما تحتاج السّوائل المتمثّلة في الزّيت والخمر إلى الآلاف من الأمفورات قصد التّخزين وضمان التّموين.

2. 3- المزارع: تحتاج المخازن إلى مصادر تموين من أجل تعبئتها بالمنتوجات الزراعية بمختلف أنواعها ثمّ إرسالها إلى روما، ومنه نتساءل هل وجدت إشارات للمزارع في مدينة هيبو ريجيوس؟

أصبح ريف مدينة هيبو ريجيوس منذ القرن الأوّل الميلادي يضمّ عددا من المستثمرات الفلاحية التي تُسيَّر من قِبَلِ وكلاء إمبراطوريين، وقد بينت النّقائش أنّ هناك العديد من المسيرين الزراعيين الإمبراطوريين في مدينة هيبو ريجيوس؛ أشرفوا على مزارع الإمبراطور وملكيات أرستقراطية.

من بين المسيرين أباسكونتوس (Abascantus)، وهو من عبيد الإمبراطور الذّين عملوا في المزارع، وقد عمل آباؤهم قبلهم في نفس المستثمرات الفلاحية الإمبراطورية، كما وجدت النقائش الدّالة على وجود محاسبين في الإدارة الزراعية من بينهم كاليستوس وبيبيليوس أوليوس كريسيميس خلال القرن الثاني[57]، وقد بيّن الأسقف أغسطين في القرن الرابع الميلادي أنّ ريف مدينة هيبو ريجيوس تواجدت به العشرات من المزارع والمستثمرات الفلاحية[58]؛ حيث وجدت الكثير من الضيعات الزّراعية مثل مزارع كيلر (Celer) وسالتوس باراتيانسيس ومزرعة سترابونيانسيس[59]، ومزرعة فيكتوريانسيس[60]، هذه المزارع كانت في مجموعها من أهمّ مصادر تمويل المخازن من خلال الضّريبة السّنوية على المنتجات الزراعية التّي فرضتها السّلطات الرومانية على المزارعين، كما تعتبر مصلحة التّموين (الأنونة) من الإدارات العامة المخوّلة قانونا بجمع المنتجات الزراعية؛ حيث يُشرف عليها وكلاء إمبراطوريون (Frumenti Curator)، يقومون بإرسال هذه المنتجات إلى روما بعد تخزينها[61].

ومهمة جهاز الأنونة التقسيم المجاني للقمح، وقد استحدث هذا الجهاز في فترة الإمبراطور أكتافيوس أغسطس[62]، ويعتبر هذا الجهاز من أهم المصالح الاقتصادية الرومانية، وتكمن أهميّته في كميات القمح التّي يرسلها من المقاطعات الإفريقية إلى روما، والتّي قدرت بأربعين مليون موديوس[63]، وقد وجدت لهذا الجهاز مؤشرات في مدينة هيبو ريجيوس خلال القرن الثاني الميلادي، ومن بين هذه المؤشرات وجود مسيّر لمصلحة الأنونة يدعى تيتوس فلافيوس ماكر (Titus. Flavius Macer) خلال فترة الإمبراطور تراجانوس،

وقد ورد ذكره في إهداء رُفع على شرفه بأنه مُسير للإدارة الاقتصادية ومسؤول المنتجات الزراعية في مدينة هيبو ريجيوس[64]. ويعدّ كذلك من أبرز شخصيات القرن الثّاني؛ إذ أسندت إليه مهمة استثنائية في فترة الإمبراطور تراجانوس، لجمع القمح من مزارع ريف مدينة هيبو ريجيوس، ونظراً لأعماله الكثيرة المتميّزة تمت ترقيته إلى وكيل أغسطس على مقاطعة صقلية[65].

لقد بيّنت النقائش اللاتينية خلال القرنين الأوّل والثّاني الميلاديين وجود مزارع بمختلف أنواعها في ريف مدينة هيبو ريجيوس، وتأكد وجودها واستمراريتها في القرن الرابع الميلادي من خلال رسائل الأسقف أغسطين إلى المزارعين والمالكين للمزارع.

الخاتمة: من خلال القراءة المتأنيّة في نقيشة المعتق صابينوس، نستخلص حقيقتين تاريخيتين هما:

- أهميّة ومكانة القوّة الزراعية بمدينة هيبو ريجيوس خلال الفترة الرومانية- التّي دامت من 46 ق.م إلى تاريخ دخول الوندال إليها سنة 431م-، إذ احتوت على مخازن كبرى ربطت بين المزارع في ريف المدينة والميناء وبجهاز الأنونة ككلّ، وكانت بذلك حلقة الرّبط بينهما في انتظار وصول السّفن، وتحميلها بالمواد الغذائية المتنوّعة لنقلها فيما بعد إلى سكان روما وتقسيمها عليهم بالمجان.

- الأهمية القصوى لنقيشة صابينوس؛ إذ تسلّط الضّوء على فئة المعتقين (العبيد المحرّرين)، وتظهر الدّور المتميّز الذّي لعبه هؤلاء في إدارة المصالح الاقتصادية في المقاطعات الرومانية.

5. الملاحق (الصور)

شكل رقم:01 . نقيشة المعتوق صابينوس
Marec Erwin, hippone la royal antique Hippo Regius. 1950, Alger.,p.1.13

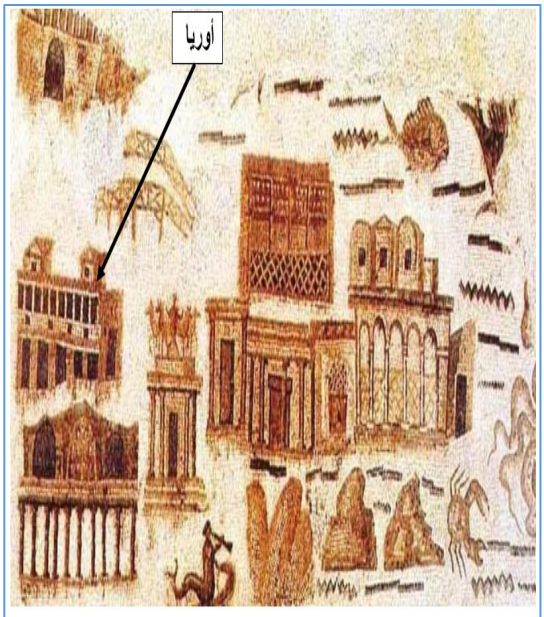

شكل رقم:02 . قسبفساء الواجهة البحرية تين أوريا
Corinne Boulingez, Joëlle Napoli, Hippone, port de l'annone la contribution de l'énnographie,L'AFRICA ROMANA XVII, Sevilla , Roma, 2006, pp. 703-732,p.705.

الهوامش:

1-Albertini Eugène,Reunion annuelle des delegues des societe savantes a Dijon, p. LXXXV a CXXVI. séance general d'ouverture, B.C.T.H,1924,p.LXXVI .
02-Gsell Stéphane ,inscriptions latines de l'Algérie,1922,Paris, p.07
03-Albertini Eugène ,Réunion ,op.cit.,p.Lxxvi.
04-Belfaida, Abd Aziz le culte des génies topiques dans l'afrique romaine. témoignages épigraphiques, L'AFRICA ROMANA,XII , 1996 ,p.1535.
05-Albertini Eugène ,Réunion ,op.cit.,p. XXVI.
06- Mansouri Khadija ,réflexions sur les activités portuaires d'Hippo Regius(Hippone-Annaba) pendant l'antiquité, AFRICA ROMANA ,XIV, 2002,p518.
07-Etienne Robert ,extra portant trigeminam ,espace politique et espace économique à l'emporium de rome ,publications de l'école française de Rome , 1987 98,p.245
08-Papi Emanuele, i granai della numidia , Ant.Af, 43,l'Afrique du nord de la protohistoire a la conquete arabe,2007,p.172
09-Albertini Eugene ,Hippone et l'administration des domaines impériaux, dans bull. acad.hippone, 35, 1922,p.55.
10- Albertini Eugène,Reunion ,op.cit.,p.LXXIX.
11-Ladjimi Sebaï Leïla ,stabilite politique et prospérité économique del'Afrique au bas-empire a travers un texte inedit provenant de Hr el oust (Tunisie) Africa XIX,2002 ,p.39.

12-Corinne Boulinguez, Joëlle Napoli,Hippone, port de l'annone la contribution de l'iconographie ,L'AFRICA ROMANA XVII, Sevilla , Roma, ,2006,p.719.
13-Fourneau Benoît ,ostiis des cenderunt. les soldats du port de Rome d'auguste à gordien iii., folia electronica classica, tome. 34, 2017,p.13.
14-Berard François ,aux origines de la cohorte urbaine de Carthage, Ant.Af, 27 1991 ,p.46.
15-Nelis-Clement, Jocelyne , les beneficiarii: militaires et administrateurs au service de l'empire(iers. a.c. - vies. p.c.) ",ausonius éditions, études 5, maison de l'archéologie , universite Michel de Montaigne - Bordeaux iii , 2000,Paris, p.206
16-Corinne Boulinguez, Joëlle Napoli,op.cit,p.721
17-Albertini. Eugène, Reunion ,op.ci,p. LXXVI
18-Camps Gabriel ,liste onomastique libyque ,nouvelle édition. , Ant. Af, 38-39 ,2002,p.247.
19-Albertini Eugène,Reunion ,op.cit.,LXXVI.
20- Mansouri Khadija ,op.cit.,p.518
21-Albertini Eugène ,Reunion ,op.cit.,p.LXXVI.
22-Pavis D'escurac Henriette,la préfecture de l'annone, service administratif impérial d'auguste à constantin, Rome , école française de Rome, 1976,p.140.
23-Albertini Eugène ,Reunion ,op.cit.,p.LXXVI
24-Corinne Boulinguez, Joëlle Napoli,op.cit.,p.721
25-El Bouzidi Saïd ,le vocabulaire de la main-d'œuvre dépendante dans le de agricultura: pluralité et ambiguïté, dialogues d'histoire ancienne , 25-1,1999 ,p.76
26-France Jérôme, les personnels et la gestion des entrepôts impériaux dans le monde romain Revue des etudes anciennes ,REA, t 110,n°2,2008 ,p.487.
27-El Bouzidi Saïd, op.cit.,p.76
28-Le Bohec Yann, inscriptions inédites ou corrigées concernant l'armée romaine d'Afrique, Ant. Af, 25,1989,p.200
29-France Jérôme, op.cit.,p.502
30-Dupuis Xavier, les IIII publica Africae un exemple de personnel administratif subalterne en Afrique" cahiers du centre gustave glotz ,11, ,2000 ,p. 290
31-Albertini Eugène ,une inscription de Djemila, comptés rendus des séances de l'académie des inscriptions et belles-lettres,68eannée, n. 4, 1924 ,p.254.
32-Sebastian Rucinski Bydgoszcz, praefectus urbi le gardien de l'ordre public a Rome sous le haut-empire romain, traduction par bernadeta pysk, wydawnictwo naukowe contact poznan,2009,p.77
33-Groslambert Agnes, population civile a Lambèse ,étude onomastique , REA , tome 105, n°1, 2003,p.201
34-Dubouloz Julien,le patrimoine foncier dans l'occident romain: une garantie pour la gestion des charges publiques (IIe-IVe siècle), association d'histoire des sociétés rurales, histoire & sociétés rurales ,2003, , 19 ,p.27.
35-Espluga Xavier ,sabel pagan dispunctores en mauretania caesariensis y en mauretania sitifensis,AFRICA ROMANA ,XI ,1994 ,p.1515.
36-Albertini Eugène, Reunion ,op.cit.,p.LXXVI.
37-Marec Erwin, Hippone la royal antique Hippo Regius. 1950, Alger.,p.15
38-Abdelouahab Naima ,corpus des mosaïques d'Hippone (Algérie) sur base topographique", thèse de doctorat ,antiquité tardive,2005, ,paris ,p.22
39-Gsell Stéphane ,inscriptions, op.cit.,p.11
40-Marec Erwan, le forum d'Hippone, libyca, ii, 1954,p.375
41-Christol Michel ,remarques sur la carrière de lucius mummius faustianus,consul ordinaire en 262 ,AFRICA ROMANA XVI, , Roma,2006, p.1865.
42-Marec Erwan, le forum d'Hippone, libyca, ii, 1954, p.382
43-Morazzani Andre, essai sur la puissance maritime des vandales, bulletin de l'association guillaume bude , lettres d'humanité, n°25, 1966 ,p.588.
44-Gilles Bransbourg ,fiscalité et enjeux de pouvoir dans le monde romain , thèse doctorat histoire et civilisation, école des hautes études en sciences sociales ,Paris , 2010 ,p.207

45-Philippe Leveau, aménagements hydrauliques et utilisation de l'eau dans l'agriculture autour de caesarea de mauretanie (Cherchel, Algerie): séminaire de recherche 1982-1983 et journées des 22 et 23 octobre 1983, MOM ,éditions année 1987,14,p.45
46-Gsell Stéphane ,Khamissa, mdaourouch, announa, fouilles exécutées par le service desmonuments historiques de l'Algérie. Seconde partie Mdaourouche". jules carbonal. imprimeur libraire éditeur place du gouvernement, 1922, Alger, p.18
47-Pichot Adeline,les édifices de spectacle des Maurétanie romaines: pichot, adeline thèse doctorat , université de Lausanne –faculté des lettres volume 1, 2010,p.193
48- Marec Erwan, le forum d'Hippone, libyca, ii, 1954,p.382
49-Marrou Henri-Irénée, la basilique chrétienne d'Hippone d'après le résultat des dernières fouilles »,dans revue des études augustiniennes, t. 6, 1960,p.113
50-christol michel ,remarques, op.cit,. p.1865.
51-Lebohec.Yann , la conquête de l'Afrique romaine par les vandales (429-439 après j.-c.) gerión.revista de historia antigua, 36,1, 2018,p.115
52- Lebohec.Yann , la conquête de l'afrique romaine par les vandales (429-439 après j.-c.) gerión.revista de historia antigua, 36,1, 2018 ,p.1120
53- Gonzales Antonio, Pline Le Jeune. Esclaves et Affranchis A Rome. index thématique des références a l'esclavage et a la dépendance, N° 9. Besançon , Institut des sciences et techniques De L'antiquité, 2003, Paris, p. 112.
54-Lachapelle David ,recherche sur la logistique des armées romaines sous le haut-empire, thèse doctorat, 2015 ,Paris ,04,p.34.
55- Roth Jonathan , the logistics of the roman army at war (264 b.c. - a.d. 235),volume xxiii, brill, leiden Boston köln,1999,,p.76
56-Salama Pierre Laporte, Jean-Pierre ,tables de mesures de l'Afrique romaine , L'AFRICA ROMANA. Roma, 2010,p.336.
57-Weaver Peter, repertorium familiae caesarum et libertorum, augustorum237 ,stand: ende.Paris ,2004,p. 239.
58-Dupar Anaclet, la formation du patrimoine des églises d'Afrique romaine. recherche des fondements théologiques, doctorat en théologie, faculté de théologie de l'université saint-paul, Ottawa, Canada. , 2009,p.92
59-Mandouze Andre ,prosopographie chrétienne du bas-empire de l'Afrique chrétienne (303-533),édition. CNRS, 1982, Paris ,p.1092.
60-Atkins Margaret et Dodaro Robert, augustine political writings. cambridge university press.London, 2004, p.246.
61- Pavis D'escurac Henriette,la préfecture de l'annone, service administratif impérial d'Auguste à Constantin,. Rome , école française de Rome, 1976,p.126.
62-Pavis D'escurac Henriette,la préfectureop.cit.,p.17
63-Virlouvet Catherine la consommation de céréales dans la Rome du haut-empire", histoire & mesure, volume 10 - n°3-4, 1995, p.259.
64-Weiß Alexander,das amt des praefectus gentis in den kaiserzeitlichen nordafrikanischen provinzen, Ant. Af,42, 2006,p.103.
65-Marec Erwan ,une maison à étages à Hippone. la villa dite, du procurateur, Ant. Af, 1969, 3, p.172.